وقال فيه الشيخ أبو حامد الإسفراييني: «لو سافر رجل إلى الصين ليحصل على تفسير ابن جرير الطبري لم يكن هذا كثيراً»[1].

وكان الطبري إماماً في الفقه، وعلم الخلاف، والفقه المقارن، واختلاف العلماء، ومن الأئمة المجتهدين، وصاحب مذهب مستقل، وتبعه بعض الناس على مذهبه، كما سنفصل ذلك، إن شاء الله تعالى.

ويعتبر الطبري رحمه الله إماماً في التاريخ، وهو شيخ المؤرخين، وصنف كتابه العظيم، «تاريخ الأمم والملوك» وكتاب «تاريخ الرجال من الصحابة والتابعين إلى شيوخه» وغيرهما، وهذا الجانب سيفرد في محور مستقل.

وكان الطبري حافظاً لكتاب الله تعالى، مبرزاً في المعاني وعلوم العربية، عالماً بالفلسفة والمنطق والجدل، وكان عنده شيء من علم الطب والجبر وعلوم الرياضيات، وكان فصيح اللسان وله نظم وشعر.

وباختصار فإن كتبه تدل على غزارة علمه، وسعة ثقافته، ودقته في التصنيف والتأليف، وإحاطته بالعلوم، وتأثيره على الفكر الإسلامي، والتراث الحضاري، وأنه كان موسوعة علمية، يغترف منها العلماء في مختلف العلوم والفنون، روي عنه أنه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة، فصنف التصانيف الكبار[2].

الطبري دائرة معارف:

وكان الطبري رحمه الله تعالى دائرة معارف، ويشهد له بذلك ما وصفه به الأئمة والعلماء والمؤرخون، ويكفي أن نقتبس بعض أقوالهم:

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢، البداية والنهاية ١١/ ١٤٦، تهذيب الأسماء ١/ ٧٩.
(٢) البداية والنهاية ١١/ ١٤٥، إنباه الرواة ٣/ ٨٩.

قال الخطيب البغدادي: «وكان أحد أئمة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه، لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله تعالى، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الخالفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله كتاب التاريخ المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه «تهذيب الآثار» لم أر سواه في معناه، لكنه لم يتمه[1]، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، وله اختيار من أقاويل الفقهاء، وقد تفرد بمسائل حفظت عنه»[2].

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة: «ما أعلم تحت أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير»[3].

وقال ابن خلكان: «كان إماماً في فنون كثيرة، وله مصنفات مليحة في

---

(١) قال ابن السبكي عن كتاب «تهذيب الآثار»: وهو من عجائب كتبه، ابتدأ بما رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كما صح عنده بسنده، وتكلم على كل حديث منه بعلله وطرقه، وما فيه من الفقه والسنن، واختلاف العلماء وحججهم، وما فيه من المعاني والغريب، فتمّ منه مسند العشرة، وأهل البيت، والموالي، ومن مسند ابن عباس قطعة كثيرة، ومات قبل تمامه» (طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٢١ وقال الحافظ الذهبي عنه أيضاً: «لو تمَّ لكان يجيء في مئة مجلد» (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٣) وقال ابن كثير عن كتب الطبري: «ومن أحسن ذلك «تهذيب الآثار» ولو كمل لما احتيج معه إلى شيء، ولكان فيه الكفاية، لكنه لم يتمه» (البداية والنهاية ١١/ ١٤٥).

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢.

(٣) تهذيب الأسماء ١/ ٧٩، البداية والنهاية ١١/ ١٤٩.

فنون عديدة ، تدل على سعة علمه ، وغزارة فضله ، وكان من الأئمة المجتهدين»[1].

وقال أبو العباس ابن سريج : «محمد بن جرير الطبري فقيه العالم»[2].

وقال الحافظ الذهبي: «الإمام العلم الفرد ، الحافظ أبو جعفر الطبري ، أحد الأعلام ، وصاحب التصانيف» وقال أيضاً: «كان ثقة ، صادقاً ، حافظاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه ، والإجماع والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس ، عارفاً بالقراءات وباللغة وغير ذلك»[3].

ومن هذا يظهر لنا ما يتمتع به الإمام الطبري من الملكة العقلية ، والتفوق العلمي الذي وصل إليه ، والنبوغ الفكري الذي اعتمد عليه ، مما كان حافزاً لوالده أن يرعاه ، ويأمل فيه الخير الكثير ، ويبذل له المال الواسع ، وييسر له النفقات في سبيل طلب العلم ، والتفرغ له ، والاستزادة منه ، والرحلة إلى منابعه ومصادره ، وتوفير كل طاقاته للسهر على تحصيله ، دون أن يحتاج للتكسب أو العمل ، فجنى الخير العميم في العلوم المختلفة حتى أصبح دائرة معارف ، ينهل منها طلابه وتلاميذه ، ودونها في كتبه ومصنفاته لتستفيد منه الأجيال اللاحقة ، وتدخر على مر التاريخ ، وتصبح مرجعاً للعلماء ، ومصدراً للباحثين ، وموئلاً لرواد المعرفة ، وحجة لطلاب الحق.

صفات الطبري وشمائله:

وكان الطبري ، رحمه الله تعالى ، فوق علمه الغزير ، كثير الفضل ،

---

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٥٤٢.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ١٢٣ ، وقال طاش كبري زاده: «أحد أئمة الدنيا علماً وديناً» (مفتاح السعادة ٢/ ٣١٥).

(٣) تذكرة الحفاظ ٢/ ٧١٠ ، سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٧٠.